خطوة
ملحق العدد ٣٨ - ربيع ٢٠٢٠

زَهْـرَةُ المخيّم

قصة: نجاح عامـــر
رسوم: مريم شريف

ذَات مَساءٍ جَمعَ الأبُ أُسْرَته، وقال:

لم يعدْ هناكَ عَيشٌ لنا في هذا الوَطن؛

فقدْ ذهبَ الأمنُ والسّلام، وسوفَ نهاجِرُ.

قالتْ زهرةُ: إلى أين يا أَبي؟

أجابَ الأبُ: إلى مكَانٍ،

نأمنُ فيهِ على أرْوَاحنا

وأَنْفسنا.

حزنتْ زهرةُ، وحَزنَ أخُوها عَلي.

وبعد عدّة أيامٍ كانتْ الأسرةُ قدْ اسْتعدت للرّحيل، خَرَجُوا في عتْمةِ اللّيل همٍ وبَعْضُ جيرانِهم، وتَركوا خلْفَهم بيتهم وأَهلهم وأَصْدقاءَ طفولتهم، وأماكنَ عَاشُوا فيهَا زَهرةَ أيامِهم، هربوا خَوْفاً منَ حرْبٍ لاَ يَعْرفون متى نهايتَها، فبلادَهم لمْ تعدْ كَما كانتْ!

طيلةَ الطَّريقِ لم يتذوقوا طَعمَ النَوم؛ فقَد نقْلتهم شاحنةٌ كبيرةٌ في جَوف اللّيل. وهُم يَدْعون الله أنْ يعبرُوا بِسَلام.

حتى وَصلوا نَحو الشَّاطئ، وانْتظروا إلى أن جَاءتْ مركبٌ صغيرة، دَلفُوا فِيها مُتكَدسين، في عَرْض بحرٍ واسعٍ، أمواجهُ هادرةٌ، نحو بلادٍ غريبة لا تَعْرفهم، ولا يعرفُون كيفَ يعيشون فِيها .

كانتْ إلى جوَارهم مراكبُ صَغيرة تتهَادى فوق الماء، وفَجْأة هَبتْ رياح عاصفةٌ فاقتلعَتْ القوارِبَ والمراكب، ولم ينْجُ إلا قاربهم وقاربٌ آخر.

وعند شروقِ الشمسِ، جَاءتْ قَوافِلُ تابعة للأممِ المتحدةِ في البلد الذي انتقَلوا لهُ، وأخذتْهم إلى مُعَسْكرات للاجئين.

كانت زهرة تصْحُو كل يوم، على حُلم واحد، أنها مازلتُ فِي بيتها ووطنها هُناك، يوقظها غِناءُ ذلكُ الدوريُّ الصَّغير الذي كانَ يشدو فوقَ شَجَرة الكَرَزِ التي تُطّل عليْهَا شُرْفَة غرفتها، كانت تحلُم بحَدِيقتها الجَمِيلة التي كانت تلعبُ فِيها مع أخِيها علي، وكيف كانت تروى الزُّهُور عصرا، ترى هل وجدت الزهور من يرعاها في غيابهم؟ «كانت تسأل نفسها» عندما تصحو وتجد نفسها لازالت في المخيم.

وبعد فترة ليستْ قصيرة، أصبحتْ زهرةُ تَجمعَ أطفالَ المخيمِ، تلعب معهم، وتحكي لهم الحكايات، وتغني، فيضحكون ويسعدون

بعد البكاء، وهكذا كانت تمرالأيام، بعْدَها قرَّرَ الأبُ البحثَ عنْ عملٍ ومَسكنٍ لهم، هُو وجاره العمُّ مؤْمِن يبحثُ لنفسهِ عنْ عملٍ و مسكنٍ أيضاً.

كان يخرج صباحاً ثم يرجعُ آخرُ النهَار حزيناً دونَ جَدوى.

وذات يوم عادَ مبتسما يقول: لقد وجدتُ عملاً مناسباً، ووجدت مَسكناً لنا في قريةٍ قريبةٍ.

فرحت زهرة وفرح أخوها فقالا معاً بصوت واحد:

أخيرا سيصبح لنا بيت جديد.

وبعد بضعة أيام رَحلوا عن المُخيَّم إلى بيتهم الجديد، ولكنْ بقيتْ زهرة تفكر كثيراً في أطفال المخيم، كيف تستطيع أن تساعدهم وتسعدهم، إنها مُمْتازةٌ بالقراءةِ والكتابةِ والحِسابِ، أليس التعليم حق من حقوقهم ؟!

وبعدَ يومين وأثناء تناول العشاء، اقتَرحت زهرة علَى أبيها وأمِّها أنْ تعلِّم أطفال المخيَّم، رُبما تعَوّضهُم عن المَدرَسة التي لا تعرفُ هلْ تكون لَهُم فرصةٌ فِيها أم لا.

قال الأب: ولكنك صغيرةٌ يا زَهرَة؟

قالت: لا توجد مشكلة يا أبي، فأنا لن أعمل وحدي بالتأكيد.

تحمّست الأم وقالت: أنا معكِ يا زهرة وسأدعو سيدّات المخيم للعملِ معنا، وبالفعل تطوعت الأُمهاتُ، وقَرَّرن جميعَاً أنْ ينْشأن مَدرسةً في المُخَيم، تبدأُ مِن التاسِعة صباحا وتنْتهِي الثانيةَ ظُهْراً، وهناك أوقاتُ راحةٍ وأنشطة مختلفة.

فَرح الأطفال كثيرا وفرحَ اللاجِئون بِما فعلت زهرة، ودعَمها الكثيرُ ممن حولها، حتى أنَّ المخَيمَات المُجَاورة اقتدتْ بهذا المخيم، وأطلقوا عليه مخيم زهرة، والأجملُ من هَذا وذَاك، أنْ تطوَّع الجَميع كلٌ في مجاله.

فالأطباءُ يُعالجون المَرْضى ويقُومُون بعملِ دورَاتٍ طبيةٍ لتوعيةِ اللاجئِين بالأمْرَاض والعَدوَى، وطرقِ الوقاية منهَا، وبَعدَ فترةٍ وجيزة أَصبحت المُخَيماتُ مثل خلية النَّحل، فِيها مَدرَسةٌ ومُسْتشفى وروضة للأطفال.

وكان أجمل َما حدث بَعْد أربع سنواتٍ، أن قَررت زهرة عَملَ مِجَلة للأطفالِ، وتَطوعَ الكتابُ والفنَّانون والصغار، للعَمل بالمِجَلة، التي أدخلتْ الفرْحةَ فِي قُلُوبهِم، فيهَا حكاياتٌ عَنهُم ولَهُم، وأغانٍ وأناشِيد مملوءَةٌ بالأمَلِ، يَصْدحُون بِها ليل َنهَار، ويَحْلمُون فِيها بالعودة لوطنِهم، ويَذكُرون فِيها مَن سَاعَدهُم ومَدَّ يدَ العونِ لهم.

ARAB GULF PROGRAMME FOR DEVELOPMENT - AGFUND
برنامج الخليج العربي للتنمية - أجفند
المجلس العربي للطفولة والتنمية
Arab Council for Childhood and Development